

لائحة مروان بن محمد بن مروان آخر خلفاء بني أمية (١٢٧-١٢٢ هجري/٧٤٤-٧٤٩م):

بويج مروان بن محمد بالخلافة بدمشق يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة (١٢٧) هجري، وكانت أيامه منذ بويج إلى مقتله خمس سنين وعشرة أيام وقيل خمس سنين وثلاثة أشهر.

ويقال له مروان الحمار، ولقب بالحمار لصبره في الحرب ويقال له الجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم من أصحاب المقالات في الاعتزال.

ولما ولي الخلافة ثارت الفتن والفتن والقتل وكانت أيامه أيام فتن وهرج ومرج، ولم تطل أيامه حتى هزمته الجيوش العباسية وتبعته إلى بلاد مصر، فقتل بقرية أسمها (بوصير) من قرى الصعيد سنة (١٣٢) هجري^(١).

أما أبرز أحداث عصره (عليه السلام):

١. ولادة الإمام الكاظم (عليه السلام):

ولد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) في عصر مروان الحمار في سنة (١٢٨) هجري في الأيواء (وهي قرية على مقربة من المدينة)، وأمها السيدة الجليلة حميدة البربرية التي سماها الإمام الصادق بـ(حميدة المصفاة)^(٢).

٢. ثورة عبد الله بن معاوية الجعفري (١٢٩) هجري:

عندما تسلم مروان الحمار الخلافة بايع العلويين وقسم من أهل الكوفة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار وكان معه أخواه الحسن ويزيد فاستولى على بعض مناطق الكوفة ونخل قصرها وبايعه الناس وخاصة الزيدية منهم وبايعه أهل الشام بالكوفة ثم أتته بيعة المدائن من كل وجه من العراق، لكن والي الكوفة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قاتله قتالاً شديداً وصمد الجعفري أمامه ثم تصالح الفريقان بعدما أخذ الأمان لعبد الله بن معاوية وأصحابه فارتحل ومن معه إلى المدائن ومنها إلى أصطخر فارس، وفي سنة (١٢٩) هجري خرج بها مرة أخرى وأيده كثير من أهله فوجه إليه يزيد بن عمر بن هبيرة القرظي والي العراق عامر بن ضبارة المزني الغطفاني فلقبه بأصطخر فهزمه عامر فخرج إلى خراسان وكان فيها (أبي مسلم الخراساني) كبير دعاة العباس فألقى القبض عليه وحبيسه هو وأخواه في رمضان سنة (١٢٩) هجري، وفي سنة (١٣٠) هجري قتلته أبو مسلم وحنى عن أخويه^(٣).

(١) الطبري، تاريخ الملوك، ج ٦، ص ٢٠١-٢٠٥.

(٢) الطبري، أعلام النوري، ص ٨٠.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ط ٢٢٠، ص ٣٠٠.

٣. الثورة العباسية (١٢٩) هجري:

قبل تناول الثورة العباسية وكيفية سقوط الدولة الاموية على أثرها علينا أن نتعرف على طبيعة الدعوة العباسية من حيث النشأة والاساليب لتعرف الدوافع والاهداف المتوخاة من الثورة العباسية، وكيف أستولى بني العباس على السلطة وسرقوا حقاً ليس لهم بل وقتلوا وشردوا اصحاب الحق الحقيقي.

الدعوة العباسية / النشأة والاساليب (١)

لقد مرّ فيما ذكرنا إن أبا هاشم بن محمد بن الحنفية الذي اغتاله سليمان بن عبد الملك قد أوصى قبيل وفاته في الخميمة الى محمد بن علي العباسي بإدارة اتباعه في الحركة التي انشأها لمقاومة الامويين، فكانت هذه الوصية هي بذرة الطمع التي حرّكت بنو العباس لتناول السلطة لذلك شرع في بثّ الدعاة الى خراسان سراً فانتشر الدعاة فيها وكان لهم الأثر الكبير هناك ومنهم: زياد مولى همدان، وحرب بن قيس، وسليمان بن كثير، ومالك ابن الهيثم، وكان كبيرهم واميرهم أبو سلمة الخلال سليمان بن حفص، وقبل وفاته التقى محمد بن العباس سنة (١٢٢) هجري بأبي مسلم الخراساني الذي غيّر اسمه فسماه عبد الرحمن بن مسلم وتوسم فيه أنه صاحب الأمر الذي لا شك فيه، وسيكون هلاك بني امية على يده وأمر اتباعه وجميع الدعاة بالسمع والطاعة الا أن قسم منهم رفضوا ذلك لحدائثة من أبي مسلم الذي كان آنذاك في التاسعة عشر من عمره لكنهم قبلوا ذلك أمام إصرار محمد بن علي وتصميمه واورصاه باتباع ولده ابراهيم الامام ومن ثم أولاده أبو العباس السفاح وابي جعفر المنصور وتوفي محمد بن علي في نهاية سنة (١٢٥) هجري، فشط ابراهيم الامام بالدعوة وأخذ يتحدث الى الناس بأهمية الثورة وإنقاذ المنكوبين ومشاركة البسطاء من الناس بالامهم، وجدد ابراهيم الامام تأمير أبي مسلم على دعاة خراسان واورصاه بوصية نثت نصّها لأنها تبين حقيقة ابراهيم هذا وقائده ابي مسلم الذي لقبه (امير آل محمد) قال فيها: ((انك رجل منا أهل البيت فأحفظ وصيتي... وأما مضر فانهم العدو القريب الدار، فأقتل من شككت في أمره، ومن وقع في نفسك منه تهمة... وإن استطعت أن لا تدع بخراسان أرضاً فيها عربي فأفعل، وأبما غلام بلغ خمسة أشبار فأتهمه فاقتله))^(١).

وهكذا يصدر ابراهيم أمره بالقتل وإراقة الدماء في وصيته الدموية الصريحة هذه، ويعلق المؤرخ المقرئ عليها بقوله: ((وتالله لو توجه أبو مسلم الى أرض الحرب ليغزو أهل الشرك لما

(١) فاروق عمر فوزي، الثورة العباسية، ص ٩٠.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٨٠-٨٢.

جاز أن يوي (ابراهيم) هذا، فكيف وانما توجه الى دار الاسلام وقتال أبناء المهاجرين والانتصار))^(١).

وللأسف نفذ أبو مسلم هذه الوصية المرعبة بحذافيرها، حتى صار حجاج عصره، وقتل في سبيل تثبيت دعائم الحكم العباسي ما لا عد ولا حصر له من الناس.

يقول المؤرخون: بلغ عدد من قتلهم أبو مسلم في عهده ستمائة ألف، وقد أصرّف هو بهذه الجرائم لما بدت المشاحنة بينه وبين المنصور فبعث عليه برسالة يقول فيها: ((أما بعد فقد كنت أتخذ أذاك (السفاح) إماماً... وأمرني أن أخذ بالظنة وأقتل على التهمة ولا أقبل المعذرة، فهتكت بأمره حرمان حتم الله صنونها وسفكت دماء فرض الله حقها، وزويت الأمر عن اهله ووضعت في غير محله))^(٢).

وقيل إن عدد ضحاياه في غير الحروب التي حاضنها مائة ألف قتيل، ولم يسلم منه حتى أصدقائه القدماء من الدعاة الذين رفضوا طاعته والانصياع لأمره حينما ولاه محمد بن علي وابنه ابراهيم الامام عليهم والزمهم السمع والطاعة وقتلهم، وكذلك قتل كبير الدعاة أبي سلمة الخليل الذي لعب دوراً كبيراً في نجاح الثورة العباسية وكان في الواقع الذراع المالي والاقتصادي للدعوة العباسية^(٣).

وعليه فليس عجباً أن نقرأ في التاريخ: إنه حينما حج أبو مسلم كان أهل البادية يفرون منه كلما مرّ عليهم لأنهم سمعوا الكثير عن سفكه للدماء ، وللحقيقة فقد بذل أبي مسلم جهوداً جبارة في نشر وتبليغ الدعوة العباسية وقد كان محبوباً من الجميع حتى استطاع وبإصرار عجيب ومقدرة كاملة من إشعال فتيل الثورة العباسية وانتصر على الوالي الاموي نصر بن سيار الذي هرب منه واستولى على بلاد خراسان وما جاورها وأنزل (يحيى بن زيد) فكفنه وصلّى عليه ودفنه وأمر الناس بقيام مجالس النياحة والبكاء عليه وسمى جميع من ولد في ذلك العام باسم يحيى.

هذه هي النشأة ، أما الأساليب المتبعة في نشر هذه الدعوة فهي:^(٤)

الاسلوب الأول:

حاول بني العباس ودعاتهم إقناع الناس بأن الهدف من دعوتهم هو الانتصار لأهل البيت (عليهم السلام) الذين تعرضوا للظلم والاضطهاد وأريقت دماؤهم في سبيل الحق، فرفعوا شعار

(١) ابن الأثير - الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ، ص ١١.

(٢) تاريخ عمر قوزي ، الثورة العباسية ، ص ١٠٠-١٠٥.

(٣) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٨٨-٨٩.

(٤) النعقوبي ، تاريخ النعقوبي ، ج ٢ ، ص ٩٨.

(الرضا من آل محمد) الذي تفاعل الناس معه وحقق نجاحاً باهراً وخصوصاً في البلاد التي كانت تلاقى البؤس والحرمان والاضطهاد.
وكان هذا الأسلوب بشكل سرقة لجهود الأئمة (عليهم السلام) حيث وظفوه لصالحهم في الأوساط غير الواعية لطبيعة الصراع.

الأسلوب الثاني:

إطلاق النبوءات الغيبية التي كانت تكتشف عن أحداث مستقبلية، وكان لهذا الأسلوب الماكر الأثر الكبير في خداع البسطاء وكسبهم والاندفاع الشديد للانضمام للدعوة، فمن تلك النبوءات: أن (ع) ابن (ع) ابن (ع) سيقتل (م) ابن (م) ابن (م) ثم تأولوا ذلك أن المراد بالأول هو عبد الله بن علي بن عباس والثاني هم مروان بن محمد بن مروان ، كما أشاعوا أن النبي محمد (ص) كان يبشر بدولة هاشمية وقال نعمه العباس: إنها ستكون في ولدك، وكان يدعون أن لديهم كتيباً تؤكد انتقال الخلافة إليهم نكن لأيجوز إخراجها وكشفها لكل الناس وإنما يطلع عليها النقباء وخواصهم مما زاد الدعاة تقدماً لدعوتهم وازدادوا اندفاعاً لهم^(١).

الأسلوب الثالث:

أستخدم العباسيون أسلوباً لم يكن مألوفاً من قبل حيث استطاعوا بواسطته أن يكسبوا الجولة ويوظفوا الجهود والقناعات المختلفة نحو هدف واحد وهو أنهم كانوا يتشددون في إخفاء اسم الخليفة الذي يدعون إليه، فالتزموا بكتمان أمره ووعدوا الناس بأن لا يمكن إظهار اسم الخليفة إلا بعد زوال حكم الأمويين حيث يُعلن اسمه الذي تعرفه النقباء والقادة^(٢).

الأسلوب الرابع:

هو ليس السواد حيث كانوا يرمزون به محاربة الظالمين وإظهار الحزن والتألم لأهل البيت (عليهم السلام) وشهداءهم، وكان لهذا الشعار وقع بالغ في النفوس.
فلقد أرسل إبراهيم الامام لواء يدعى الظل أو السحاب على رمح طويل طوله ثلاثة عشر ذراعاً وكتب الى ابي مسلم، أتي قد بعثت اليك براية النصر وأولوا ذلك أن إن السحاب يطبق الأرض كما إن الأرض لاتخلو من الظل كذلك لا تخلو من خليفة عباسي^(٣).

(١) فاروق عمر فوزي ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص ٥٠.

(٢) ثابت اسماعيل الزاوي ، الدولة العباسية ، ص ٨٥.

(٣) المرجع نفسه ، ص ٣٤٣.

اجتماع الأبواء:

لقد أدرك العباسيون إن لا سبيل لنجاحهم في استلام السلطة ومناقضتهم الحقيقيين هم أهل البيت بالوجود الذين كانوا يخشون منهم أشد الخشية، لذلك عمدوا الى عقد اجتماع موسع يضم بني العباس والعلويين بهدف منه احتواء الخط العلوي وزججه في المعترك السياسي.

وكان ابراهيم الامام واخوته يدركون جيداً أن الامام الصادق(عليه السلام) يدرك جيداً ماذا تسير اتيه الأمور، وما هو الهدف الحقيقي من وراء هذا الاجتماع، لذا عمدوا الى شق البيت العلوي واغراء آل الحسن بأن تكون الخلافة لهم، ففي عام (١٢٨) هجري وفي منطقة الأبواء حضر ابراهيم وأخوته أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور وعمهم صالح بن علي وعبد الله بن الحسن بن الحسن المثنى وابناء محمد ذي النفس الزكية وابراهيم وغيرهم وتخصّص الاجتماع عن انتخاب محمد ذي النفس الزكية خليفة عليهم فبايعوه جميعاً ومسح على يده كل من ابراهيم الامام والسفاح والمنصور وكل من حضر الاجتماع، ولتكمّل اللعبة أرسلوا خلف الامام الصادق (عليه السلام) ليعلموه النتيجة ويطلبوا منه مبايعة الخليفة الجديد وحينما عارض الامام الصادق (عليه السلام) ذلك اجابه عبد الله بن الحسن: يحملك على هذا الحسد لأبني، وأجابه الامام (عليه السلام): ((والله لا يحملني ذلك ولكن هذا واخوته وأبناءهم دونكم)) وضرب بيده على ظهر أبو العباس السفاح، ثم قال لعبد الله: ((أن صاحب انداء الاصفور - يقصد المنصور - يقتله))، وفي رواية: بعدما تصير له الخلافة فلحقه المنصور وقال له: تتم الخلافة لي؟ فقال(عليه السلام):((نعم ما أقوله حقاً))^(١).

ولم تطل أيام ابراهيم الامام طويلاً بعد هذا الاجتماع وحينما اندلعت الثورة العباسية بقيادة ابي مسلم في خراسان وعرف الخليفة الاموي مروان بأن وانها ابراهيم أمر اتباعه بالقبض عليه فأرسلوه الى دمشق مكتوفاً فقتله مروان في حران سنة(١٢٩) هجري ولكنه قبل قتله أمر اخيه أبو العباس بالارتحال عن الحميمة والذهاب الى الكوفة لوجود القاعدة العباسية هناك وكلفه بمسؤولية الأمر من بعده، وعند وصولهم استقبالهم ابو سلمة الخلال الذي كان يُعرف بوزير آل محمد وأخلي لهم داراً وتولى خدمتهم بنفسه وتكتم على امرهم^(٢).

كان الخلال يريد صرف الخلافة لآل علي ولكنه غلب على امره حين فاجأته جيوش أبي مسلم الخراساني وهي تدخل الكوفة وظهر أمر بني العباس بإخراج السفاح الى المسجد وبايعوه بالخلافة يوم الجمعة ١٢ ربيع الاول سنة (١٣٢) هجري ثم أرسل قواته بقيادة عمه عبد الله بن

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٨٠.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٠٠.